قال وفيه معنى الجواب عما سأل عنه الانسان كأنه قال يوم القيمة
إذا برق البصر وخسف القمر وقيل عند رؤية جهنم قال الفراء والخليل
برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب تقول للانسان المتحير المبهوت
قد برق فهو برق وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحهما قاله
أبو عبيدة وأنشد قول الكلابي
لما أتاني ابن عمير راعيا ۞ أعطيته عيساء منها فبرق ۞
أي فتح عينيه وقرأ أبو السمال بلق باللام قال أهل اللغة إلا الفراء معناه
فتح يقال بلقت الباب وأبلقته أي فتحته وفرجته فقال الفراء هو بمعنى
أغلقته قال ثعلب أخطأ الفراء في ذلك ثم يجوز أن يكون بلق بمعنى مادة
برق ويجوز أن يكون مادة واحدة بدل فيها حرف من آخر وقد جاء إبدال
اللام من الراء أحرف قالوا نثر كنانته ونثلها وقال وجل ورجل فيمكن
أن يكون هذا منه ويؤيده أن برق قد أتى بمعنى شق عينيه وفتحهما
قاله أبو عبيدة وأنشد لما أتاني ابن عمير البيت المتقدم أي فتح عينيه
فهذا مناسبه لبلق **قوله** وخسف القمر العامة على بنائه للفاعل
وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد بن قطيب قال القرطبي وابن
أبي إسحاق وعيسى والأعرج خسف مبنيا للمفعول وهذا لأن خسف
يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله وقد اشتهر
أن الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم يكونان فيهما يقال
خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف وتأيد بعضهم
بقوله صلى الله عليه وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى
لا يخسفان لموت أحد فاستعمل الخسوف فيهما وفي هذا نظر لاحتمال
التغليب وهل هما بمعنى واحد أم لا فقال أبو عبيد وجماعة هما بمعنى
واحد وقال ابن أبي أويس الخسوف ذهاب كل ضوئهما والكسوف
قال القرطبي الخسوف في الدنيا إلى انجلاء بخلاف الآخرة فإنه لا يعود
ضوؤه ويحتمل أن يكون بمعنى غاب ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره
الأرض **قوله** وجمع الشمس والقمر لم يلحق علامة تأنيث لأن
التأنيث مجازي وقيل لتغليب المذكر وفيه نظر لو قلت قام
هند وزيد لم يجز عند الجمهور من العرب وقال الكسائي جمع على معنى
جمع النيران وقال الفراء لم يقل جمعت لأن المعنى جمع بينهما وقال
الفراء والزجاج جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء
للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما أي قرن
بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما
ثوران عقيران وقال عطاء بن يسار يجمع بينهما يوم القيمة ثم
يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقال علي وابن عباس
يجعلان في الحجب وقد يجمعان في جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ولا تكون
النار عذابا لهما لأنهما جماد وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكفار
وحسرتهم وقيل هذا الجمع إنما يجمعان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق
لشدة الحر فيكون المعنى جمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون
ثم تعاقب ليل ونهار قاله ابن الخطيب وقيل جمع بينهما في حكم ذهاب
الضوء كما يقال يجمع بين كذا وكذا في حكم كذا أي كل منهما يذهب ضوءه
فصل قال ابن الخطيب طعنت الملحدة في الآية فقالوا خسوف
القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر والجواب أن الله تعالى قادر
على أن يخسف القمر سواء كانت الأرض متوسطة بينه وبين الشمس أو لم
تكن

تكن لأن الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على إزالة الضوء عن
القمر في جميع الأحوال **قوله** يقول الانسان جواب إذا
من قوله فإذا برق وأين المفر منصوب المحل بالقول والمفر مصدر
بمعنى الفرار وهذه هي القراءة المشهورة وقرأ الحسنان ابنا علي وابن
عباس والحسن ومجاهد وقتادة بفتح الميم وكسر الفاء وهو اسم مكان
الفرار أي أين مكان الفرار وجوز الزمخشري أن يكون مصدرا قال
كالمرجع وقرأ الحسن عكس هذا أي بكسر الميم وفتح الفاء وهو الرجل
الكثير الفرار كقول امرئ القيس يصف جواده
مكر مفر مقبل مدبر معا ۞ كجلمود صخر حطه السيل من عل ۞
وأكثر استعمال هذا الوزن في الآلات **فصل** يقول الانسان
يومئذ أين المفر أي يقول ابن آدم وقيل أبو جهل أين المفر أين المهرب
قاله الماوردي ويحتمل وجهين أحدهما أين المفر من الله استحياء منه
والثاني أين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان
وجهين أحدهما أن يكون من الكافر خاصة في عرصة القيمة دون المؤمن
لثقة المؤمن ببشرى ربه والثاني أن يكون من قول المؤمن والكافر
عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها **قوله** كلا لا وزر تقدم
الكلام في كلا وخبر لا محذوف أي لا وزر له أي لا ملجأ من النار وقال
ابن مسعود لا منجا وقال الحسن لا جبل وقال ابن جبير لا محيص وهل
هذه الجملة محكية بقول الانسان فتكون منصوبة المحل أو هي مستأنفة
من الله تعالى بذلك والوزر الملجأ من حصن أو جبل أو سلاح قال
الشاعر ۞ لعمرك ما للفتى من وزر ۞ من الموت يدركه والكبر ۞
قال السدي كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم
لا وزر يعصمكم يومئذ مني **قوله** إلى ربك يومئذ المستقر أي المنتهى
قاله قتادة نظيره وأن إلى ربك المنتهى وقال ابن مسعود إلى ربك
المصير والمرجع أي المستقر في الآخرة حيث يقره الله والمستقر مبتدأ
خبره الجار قبله ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الاستقرار وأن يكون
مكان الاستقرار ويومئذ منصوب بفعل مقدر ولا ينصب بمستقر
لأنه إن كان مصدرا فلتقدمه عليه وإن كان مكانا فلا عمل له البتة
قوله ينبأ الانسان أي يخبر ابن آدم برا كان أو فاجرا يوم القيمة
بما قدم وأخر أي بما أسلف من عمل خير أو شر أو أخر من سنة أو عمل
يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وقال ابن عباس أيضا
بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال ابن زيد
بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلف للورثة وقال الضحاك بما
قدم من فرض وأخر من فرض وقال مجاهد والنخعي بما أول عمله وآخره
٣ العشر قال المفسرون وهذا الإنباء يكون في القيمة عند وزن الأعمال ويجوز
أن يكون عند الموت **قوله** بل الانسان على نفسه بصيرة
بصيرة يجوز في بصيرة أوجه أحدها أنها خبر عن الانسان وعلى
نفسه متعلق ببصيرة والمعنى بل الانسان بصيرة على نفسه وعلى
هذا فلأي شيء أنث الخبر وقد اختلف النحويون في ذلك فقال بعضهم
الهاء فيه للمبالغة وقال الأخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل
المراد بالانسان الجوارح فكأنه قال بل جوارحه بصيرة أي شاهدة
والثاني أنها مبتدأ وعلى نفسه خبرها والجملة خبر عن الانسان وعلى
هذا فيها تأويلان أحدهما أن تكون بصيرة صفة لمحذوف أي عين

King Saud University Copyright